أصداء واقعة مدينة بربشتر في التاريخ الأندلسي

أ.م.د.ماهر صبري كاظم
الجامعة المستنصرية/ العراق

الملخص:

إن للتاريخ الأندلسي العديد من الوقائع والإحداث التاريخية حيث كما هو معروف بقاء المسلمين في الاندلس (اسبانيا والبرتغال) ثمانية قرون، منذ الفتح الاسلامي في عام 92هـ/711م وما تخللها من عصور تاريخية كعصر الولاة والإمارة والخلافة والطوائف ثم عصر المرابطين والموحدين حتى سقوط اخر مدينة اندلسية وهي غرناطة في عام 897هـ/1492م، ومن تلك الوقائع حادثة مدينة بربشتر الاندلسية التي لم يسلط عليها الضوء بشكل واسع من قبل المؤرخين سوى بعض الاشارات، لذالك اراد الباحث دراسة شاملة لتلك الحادثة التاريخية، وفي خضم هذه الاحداث كانت واقعة بربشتر الاندلسية، أي في عصر الطوائف بعد انهيار الخلافة الاندلسية وضعف الاندلس ، تحديدا في عام 456هـ/1064م،

Summary

The history of Andalusia has many historical facts and events where the survival of Muslims in Andalusia (Spain and Portugal) is known for eight centuries, since the Islamic conquest in 92 A.H. / 711 A.D. The last city of Andalusia, Granada in 897 A.H. / 1492 A.D, including the incidents of the city of Barbcheter Andalusia, which was not highlighted by a large extent by historians only some references, so the researcher wanted a comprehensive study of the historical incident, and in the midst of these incidents was the incident Barbceter Andalusian, After the collapse of the Andalusian caliphate and the weakness of Andalusia, specifically in 456 A.H. / 1064 A.D,

الكلمات المفتاحيه: الأندلس/ بربشتر/ الطوائف/ تاريخ/ مدينة

المقدمة

إن التاريخ الأندلسي فيه الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي لم يسلط عليها الضوء بشكل واسع مثل حادثة بربشتر، فأراد الباحث الكشف عن تلك الحادثة بالأسلوب الوصفي والتحليلي والإجابة عن التساؤلات التي رافقت الموضوع كالموقع الجغرافية لهذه المدينة والعصر التي حدثت فيها الواقعة، وأطرافها فضلاً عن نتائجها، لذلك كانت تلك أسباب اختيار الموضوع التي حفزت الباحث للبحث عن تلك الواقعة التاريخية في التاريخ الأندلسي. فكما هو معروف بالأندلس (أسبانيا والبرتغال حالياً) استمر الحكم الإسلامي فيها ثمانية قرون منذ عام (92هـ/711م) مروراً بعهد الفتح وعصر الولاة والإمارة والخلافة ثم عصر الطوائف فبسبب ضعفها استنجدت بأهل المغرب من المرابطين والموحدين إلا أن قوة الممالك النصرانية كانت لها الغلبة باستسلام سلطنة غرناطة في عام (897هـ/1492م).

الأحداث التاريخية لهذه الواقعة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وبذلك تكون حدثت في عصر الطوائف، وهذا العصر معروف بانقسام الأندلس إلى أكثر من أثنان وعشرون ولاية وحاكم لها، وهذا دليل على الضعف والهوان التي كانت تعيشه الأندلس تلك المرحلة العصيبة في التاريخ الأندلسي وهجمات الممالك النصرانية على المدن الأندلسية.

قسم الباحث محاور البحث إلى ثلاث، حيث جاء المحور الاول: (الاوضاع الداخلية والخارجية للأندلس قبل واقعة بربشتر)، عرض فيه الباحث الاحداث التاريخية في الاندلس منذ الفتح الاسلامي مرورا بعصر الولاة والامارة والخلافة موضحا عصر الطوائف التي حدثت فيها الواقعة بشكل مختصر ودقيق وتسارع العوامل التي ادت الى حدوث تلك الواقعة الاليمة حيث عرض فيه الباحث الظروف المحيطة بالمدينة سواء كانت خارجية المتمثلة بالممالك النصارنية مثل مملكة قشتالة وليون ونباره مع الأوضاع الداخلية في الأندلس وواقع حال الضعف لملوك الطوائف. أما المحور الثاني جاء بعنوان: (حادثة مدينة بربشتر الاندلسية في عام(456هـ/1064م))، فأعطى الباحث التفاصيل الدقيقة وعرض الروايات التاريخية وتحليلها وتفسير الكثير منها والتحقق من صحت الأحداث التاريخية بين المؤرخين حول تلك الحادثة المعروفة بهجوم النصارى على المدينة الأندلسية ووصف ما قاموا به من أعمال منافية للإنسانية من قتل وتهجير واعتداء على النساء والأطفال والشيوخ المسلمين. في حين كان الم حور الثالث بعنوان: (أحوال المسلمين بعد الواقعة وأصدائها في التاريخ الأندلسي) حيث عرض فيه الباحث أثر تلك الحادثة على المسلمين وأصدائها عند المؤرخين الأندلسيين وكذلك المؤرخين في العصر الحديث.

اولا: الأوضاع الداخلية والخارجية للأندلس قبل واقعة بربشتر

بعد عصر الفتح الإسلامي للأندلس توالت عدة عصور إسلامية ومن أهمها عصر الولاة الذي اتسم بتثبيت الحكم الإسلامي من خلال توالي عشرون والياً خلال اثنين وأربعون عاماً للمدة (95-138هـ/714-755م) والانفتاح على المجتمع فضلاً عن تأمين الثغور وحدوث عدة معارك أشهرها معركة بلاط الشهداء التي خسرها المسلمون ضد النصارى من الفرنجة بمساندة أوربا من حكام وكنائس، ومن بعد تلك المعركة توقفت هجمات المسلمين والمحافظة على ما تم الاستحواذ عليه مع ظهور نواة الممالك النصرانية وتهديد الأندلس بين الحين والآخر[1].

أما في عصر الإمارة (138-316هـ/ 755-929م) فقد شيدت على أيدي الأمويين وقضت على كل المعارضين بإخماد الثورات الداخلية والتصدي لمخاطر الممالك النصرانية ومؤامرات الدولة العباسية فضلاً عن الاهتمام بالجانب العمراني والقضائي والتعليمي، فأصبحت قرطبة عاصمة الأندلس ومنارة العلم والتطور الإنساني[2].

وخلال عصر الخلافة (316-366هـ/ 929-976م) استقرت الأوضاع الداخلية بشكل كبير وعرف بعصر التعايش السلمي بين مكونات المجتمع الأندلسي وبذلك توحد المجتمع وأصبح مجتمعاً موحداً بكل صفاته ومكوناته، وأصبحت الأندلس محل احترام وتقدير من الدول المحيطة وحتى البعيدة بتبادل السفارات والهدايا لما وصلت إليه الأندلس من الرقي الحضاري والاستقرار السياسي مما أدى إلى نهضة علمية و الإنسانية إضافة إلى العديد من الابتكارات والتطورات التي إنارة للعالم في مختلف العلوم والمعرفة[3]. إلا أن في حقبة الحجابة (366-399هـ/ 976-1009م) بعد أن تولى الخلافة هشام بن الحكم بالوارثة الصغير السن الذي لم يتجاوز عمره أحد عشر عاماً فكان بسمار نعش الأندلس لما أحدث من فراغ سياسي وظهور الحجابة التي عرفت بالدولة العامرية، فعلى الرغم من قوتها إلا أن بذور الضعف كانت موجودة في ركائز عصر الخلافة [4]. فحدث الذي كان متوقعاً بالفتنة البربرية وسقوط الخلافة نتيجة النزاعات السياسية وظهور الفتن بين المسلمين في الأندلس وانفصال السلطة الروحية عن الزمنية وظهور قادة ضعفاء لم يكونوا بمستوى المسؤولية فهيمنة المصلحة الشخصية على المصلحة العامة[5].

وبعد سقوط الخلافة الأموية، انقسمت الأندلس في عام (422هـ/1031م) لأكثر من اثنين وعشرين دويلة تعرف بعصر الطوائف حيث حكامها عرفوا بملوك الطوائف، وهي دويلات ضعيفة منقسمة تسعى للبقاء ولتأمين مصالحها الشخصية، ومن دول ممالك الطوائف وحكامها مثل مملكة أشبيلية حكمها بني عباد ومملكة قرطبة بني جهور في حين حكم بني ذي النون مملكة طليطلة وسيطر بنو زيري على مملكة غرناطة أما مملكة بلنسية حكمها الصقالبة ومملكة بطليموس حكمها بنو الأفطس وقد تمكن بنو هود من حكم مملكة سرقسطة، وفي نفس الوقت أخذت الممالك النصرانية بالتوسع والظهور مستغلة فرصة ضعف الأندلس ومن أبرز: نبارة وجليقية وليون وقشتالة وأرغون ونافارا، فأصبحت سياسة تلك الممالك مساعدة ملوك الطوائف على الصراع بعضهم على بعض وذلك بتشجعهم على التحارب فيما بينهم من خلال السيطرة على الاراضي، فضلاً عن ما قامت به الممالك النصرانية باخذ الجزية السنوية وتخريب أراضيهم وإجبارهم على الهجرة[6].

فقد عرف الوضع الداخلي بالضعف في مملكة سرقسطة ذات الرقعة الجغرافية الواسعة والتي فيها مدينة بربشتر، حكم تلك المملكة أسرة بني هود وأولهم (سليمان بن محمد بن هود الجذامي يكنى بـ أبو أيوب الملقب بـ المستعين بالله) وبعد وفاته تقاسم ابنائه المملكة ومنهم: (أحمد بن سليمان يكنى بـ أبو جعفر الملقب بـ المقتدر بالله) والتي قد وقعت الحادثة في أيامه،كان اكثر اخوته طمعاً ،فأستطاع ان يسيطر على بقية الاراضي والمدن التي كانت بحوزة اخوته ولم يكتفي بذلك بل قام بسجن الاخوة ،مما ادى الى ان اهل الرعية عصوه وعدم طاعته لسوء اعماله وكان يشاركه في الحكم اخيه (يوسف بن سليمان يكنى بـ أبي عامر الملقب بـ المظفر) الذي عادى اخيه احمد بن هود لسوء اعماله مع اخوته وتفرده بالسلطة لذلك اعلنت اهالي المملكة الطاعة والولاء ليوسف بن هود، واستمر العداء بين الاخوين الى درجة ان منع احمد

بن هود قافلة مساعدات من اخيه يوسف بن هود ان تمر بأراضيه مما اضطر ان يتصل بـ(غريسيه ملك مملكة نافارا) لمرور القافله عبر اراضيه الا ان احمد بن هود عندما علم بذلك استطاع ان يقنع ملك نافارا بأن يسمح له بمهاجمة القافلة والاستحواذ عليها مقابل ان يعطيه الضعف،فاستطاعت قوات احمد بن هود السيطرة على القافلة وقتل وأسر حراسها[7].

في تلك الاحداث المريرة التي يعانيها اهل الاندلس، كانت هنالك تحركات و تحشد غربي للاعتداء على الاراضي الاندلسية المتمثلة بـ الغزو النورماندي [8] وقائدهم (جيوم دي مونرى) الذي اصبح قائد الجيوش الرومانية والبابوية بعد ان رحل الى ايطاليا مقدم خدماته الى الكنيسة وبذلك حصل على الدعم المطلوب من الباباوات في الكنيسة بالحرب على المسلمين في الاندلس[9].

ثانيا: حادثة مدينة بربشتر الأندلسية في عام (456هـ/1064م)

بعد الأوضاع المتردية التي عاشتها الأندلس نتيجة الانقسام إلى العديد من الطوائف وانعدام الوحدة الوطنية والرضوخ للممالك النصرانية أدى إلى تساقط المدن الأندلسية الواحدة بعد الأخرى، فأصبحت المدن الأندلسية لقمة سائغة للقوى الأجنبية[10].

من تلك المدن مدينة بربشتر الأندلسية والتي تعرف باللغة الأسبانية (Barbastro)، فيعرفها الحموي لغوياً بقوله: "بربشتر: بضم الباء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوق "[11]. فهي مدينة تقع ضمن حدود مملكة سرقسطة بين مدينتي لاردة ووشقة على فرع صغير من أفرع نهر أبرة في الشمال الشرقي لمملكة سرقسطة وهي من أمنع القواعد الإسلامية الشمالية [12]. وقد وصفها الحميري اصطلاحاً بقوله: "هي مدينة من بلاد برطانية بالأندلس، وهي حصن على نهر مخرجة من عين قريبة منها، وبرشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع"[13].

أما الخطر الخارجي المتمثل بـ (النورمانديون) مع جموع من النصارى من الفرنسيين والممالك النصرانية مثل أراغون وقشتالة الذين توجهوا إلى الأندلس ويقدر عددهم بأربعون ألفاً حاصروا مدينة وشقة ولم يستطيعوا اقتحامها فتوجهوا شرقاً إلى مدينة بربشتر فحاصروا أربعون يوماً في عام (456هـ/1064م) وجرت عدة معارك خارج المدينة، فسقط عدداً من المقاتلين من كلا الطرفين[14].

استطاع النورمانيدون اقتحام المدينة من الخارج بعد أن اشتد الضيق عليها بقلة الطعام واشتداد القتال العنيف، أما المسلمون فقد تحصنوا داخل المدينة وتحديداً بالقصبة لمقاومة الهجوم النورماندي عازمين على عدم الاستسلام، لذلك قاموا النصارى بقطع الماء على المسلمين فاشتد العطش بالمدافعين،مما اضطر المدافعون تسليم المدينة بدون قتال مقابل السماح لهم ولعوائلهم بالخروج فوافق النورمانديون على ذلك في بادئ الامر لكنهم حينما استسلم المقاتلون وسلموا اسلحتهم غدر النورمانديون بهم، ودخلوا مدينة بربشتر بالقوة [15]. فقد وصف الحميري ذلك بقوله: "... وقد غزاها، وقلة عددٍ من أهلها وعدة، أهل غاليش والروذمانون، وكانت عليهم رئيس يسمى البيطش وكان في عسكره نحو أربعين ألف فارسٍ، فحاصرها أربعين يوماً حتى افتتحها، وذلك في سنة 456هـ"[16].

لم يستطع يوسف بن هود رد العدوان أو الدفاع عن المدينة لضعفه من جهة ومن جهة اخرى لانه ليس لديه طريق ارضي يتصل بها الا عن طريق الاراضي الواقعة تحت حكم اخيه او عن طريق اراضي مملكة نافارا وفي نفس الوقت لم يبادر أخيه احمد بن هود لإنقاذ المدينة من الحصار على الرغم من إمكانية ذلك الا انه اصر على معاقبة اهل لمدينة بربشتر لانهم خلعوا طاعته واعلنوا الولاء لاخيه يوسف بن هود ، فتركت المدينة تواجه مصيرها المحتوم أمام النورمانديين[17].

ينقل لنا ابن بسام رسالة نصية مطولة يصف فيها الحادثة الأليمة التي فجع بها المسلمون في مدينة بربشتر، وهي رسالة إلى عدة مدن أندلسية للاستنجاد والمساعدة، أهم ما جاء فيها: "فأحاطت بنا كإحاطة القلادة بالعنق، يسوموننا سوء العذاب، بضروب من الحرب والحراب، آناء ليلها ونهارها تصب علينا صواعقها ... وقد غلبوا على الأموال والأهلين، واستحكمت فيهم السيوف واستولت عليهم الحتوف، واثخنتهم الجراح، وعبثت بهم زرق الرماح، وقد كثر الضجيج والعويل والنياح، ودماؤهم على أقدامهم تسيل، سيل المطر بكل سبيل، ورؤوسهم قدامهم تطير، وقلوبهم في أجسادهم تستطير، ولا مغيث ولا مجير"[18].

لقد قام النصارى بتقسيم المدينة الى نواحي صغيرة يسيطر عليها احد افراد قادتهم لكي يستطيع السيطرة على الاهالي وتنفيذ اعمال القتل والسلب وتعذيب الأسر وتفريق الاب عن الزوجة والاخ عن اخته للانفراد بهم وإضعافهم وتهجير واغتصاب النساء مما افسدوا في الارض فساداً وعبثاً لم تشهد الاندلس سابقاً بتلك الفاجعة الكبيرة[19].

على الرغم من فظاعة تلك الحادثة على الاندلس وبعلم ملوك الطوائف وتأثرهم بتلك الاحداث والإعمال الا انهم لم يستطيعوا اتخاذ أي قرار بشأن ذلك نتيجة ضعفهم امام الممالك النصرانية وعجزهم عن فعل شياً يذكر في تلك الايام المريرة التي عاشها المسلمين في مدينة بربشتر ،ويوصف لنا ابن السماك احوال ملوك الطوائف بقوله:" ونحن اهل الاندلس ليس لاحد منا طاقة على نصرة جاره ولا اخيه،ولو شاؤا لفعلوا الا ان الهوان منعهم من ذلك ، وقد ساءت الاحوال، وانقطعت الامال"[20].

فأن جميع ملوك الطوائف تحت هيمنة وسيطرت الممالك النصرانية التي تفرض عليهم دفع الجزية السنوية ولن تسمح لهم بالتدخل لانقاذ المسلمين،لانهم متمتعين بخيرات البلاد وانفاق الاموال على الملذات والاهتمام ببناء القصور وزخرفاتها وإنفاق الاموال على صغائر الامور كالشعر والغناء، تاركين الاراضي الاندلسية التي هي خارج سيطرتهم يعبث بها الغرباء معتقدين ان الخطر بعيداً عنهم ومدنهم محمية[21].

ثالثا: أحوال المسلمين بعد الواقعة وأصدائها في التاريخ الأندلسي

بعد انتصار النورماندين في اقتحام مدينة بربشتر بالقوة، قاموا بأعمال منافية للإنسانية باستباحة المدينة بكل ما فيها من نساء ورجال وأطفال وحتى شيوخ والذين يقدر عددهم بين أربعين إلى مئة ألف، وبعد أن أعطى قائد النورمان لهم بالأمان قام بقتلهم غدراً للتقليل من أعدادهم فضلاً عن أنهم نهبوا المدينة واحتلوا بيوت المسلمين وقاموا بجرائم القتل وانتهاك حرمات المسلمين في المدينة[22].

ويوصف الحميري ذلك بقوله: "... فقتلوا عامة رجالها، وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصى كثرة، ويذكر أنهم اختاروا من أبكار جواري المسلمين وأهل الحُسن منهن خمسة آلاف جارية فأهدوهن إلى صاحب القسطنطينية، وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه..." [23].

فقد وصف المؤرخون الأعمال التي قاموا بها النورمانديون ضد سكان مدينة بربشتر الأندلسية فقاموا بأعمال وحشية تعبر عن حقيقتهم الهمجية ومدى حقدهم على المسلمين [24]. فقد بالغ المؤرخين في أرقام عدد القتلى والأسرى من المسلمين مبالغة كبيرة لكن هذا لم يمنع من الأعمال الوحشية المروعة التي أصابت المدينة الأندلسية من التقتيل والتدمير والتهجير [25]. لكن الذي يؤكد هول تلك الحادثة المروعة هو وصف المؤرخ الأندلسي ابن حيان القرطبي تلك الحادثة نقلها لنا ابن عذاري بقوله: "وطرق الناعي بها قرطبة في شهر رمضان فصك الأسماع وأطار الأفئة وزلزل أرض الأندلس قاطبة وصار للناس شغلاً تسكعوا في التحدث به والسؤال عنه" [26].

بعد تلك الحادثة غادر المدينة الغزاة النورمانديين وتركوا قوة عسكرية لحمايتها وعادوا إلى بلادهم محملين بمقادير هائلة من الغنائم والأموال، فبعد أشهر أنتشر خبر الواقعة الأليمة في عموم الأندلس، فقام احمد بن هود بالحث على استرجاع المدينة المختصبة، ودعوة العلماء والفقهاء لمواجهة الخطر الخارجي والدعوة إلى الوحدة الوطنية والتمسك بالشريعة الإسلامية، فتحشد قوة من المتطوعين المسلمين بمحاصرة المدينة واقتحامها وانتصارهم في المعركة فتم استرداد المدينة في عام (457هـ/1065م) ولذلك لقب حاكم المدينة أحمد بن هو بـ المقتدر بالله [27]. يوصف البكري ذلك بقوله: "وفتحها بعد ذلك أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة مع أهل الثغور واستنجد بحلفائه من رؤساء الأندلس، ونهد إليها في جمع كثيف ذوي جد وحد، ففتحها الله عز وجل على يديه عنوة..." [28].

فكان لجهود أحمد بن هود الملقب بالمقتدر بالله باسترجاع مدينة بربشتر للمسلمين وساعدهُ في ذلك رجال ابن عباد صاحب مملكة أشبيلية بخمسمائة فارس وصفوا بالأشداء مما انهزم العديد منهم عند وصولهم للمدينة التي اقتحموها وسيطروا عليها، وقد استشهد من المسلمين ما يقدر بخمسون شهيداً في حين يقدر عدد النصارى الذي قتلوا في المعركة بألف وخمسمائة فارس وراجل، وبذلك تم رد العدوان واسترجاع الأرض التي فقدت إلى المسلمين وفي نفس الوقت حافظوا على ما تبقى من أعراض المسلمين وأموالهم [29].

ان دعوة علماء المسلمين ووجهاء اهل الاندلس اثمرت نتائج ايجابية بالدعوة الى الجهاد ورفع راية الاسلام مجدداً في نجدة اهل مدينة بربشتر من المتطوعين الذين هبوا من مختلف الجهات ملبين دعوة الجهاد لإنقاذ ما تبقى من اهالي المدينة المنكوبة، ذلك هو المسلم عندما يستدعى الى رفع الظلم عن اخوانه المسلمين لن يتردد في التضحية بحياته من اجل تحقيق هدف الدين الاسلامي وهو العيش بكرامة و سمو لذلك كان النصر حليفهم رغم المخاطر والمحن [30].

بعد تلك الحادثة وتساقط المدن الاندلسية في عصر الطوائف، انشد الشعراء رثاء للمدن التي سقطت بيد الممالك النصرانية، امثال ابن الفرج اليحصبي المشهور بابن العسال بقوله [31]:

يا اهل أندلسِ حثوا مطيكم فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
من جاور الشر لا يؤمن بوائقه كيف الحياةُ مع الحياتِ في سفط

على الرغم من استرجاع مدينة بربشتر الا ان سقوط مملكة سرقسطة كان امرا محتوماً في عام (512هـ/ 1118م) وبذلك خضعت جميع المدن الاندلسية داخل مملكة سرقسطة تحت سيطرة مملكة اراغون النصرانية، فكانت النتائج معروفة لدى المجتمع الاندلسي بسبب تكالب القوى النصرانية على الاندلس وانهيار الوحدة الوطنية الى كيانات صغيرة على اساس مبدأ الوراثة فضلاً عن تقرب ملوك الطوائف الى الممالك النصرانية لمساعدتهم في قتال بعضهم على بعض وعقد المعاهدات التي فيها التنازل عن الاراضي الاندلسية، والتفكير بالمصالح الذاتية وإهمال المصلحة العامة وفي نفس الوقت نجحت الممالك النصرانية بمساعدة ملوك الطوائف في نزاعاتهم باستمرار لإبقائهم ضعفاء ، ولم يكتفوا بذلك بل تعمدوا بتخريب اراضي المسلمين خارج سيطرتهم لإضعاف السكان وإجبارهم على الهجرة وترك اراضيهم[32].

الخاتمة

بعد أن انقضت الأحداث وتوارت الأخبار في الأندلس، بقت تلك الحادثة المؤلمة في التاريخ الأندلسي التي وقعت في عام (456هـ/1064م) تذكر على مر الأجيال، صحيح أن الكثير من المؤرخين لم يتطرق إلى تفاصيلها الدقيقة لكن في نفس الوقت أشاروا إلى فداحة الأعمال الوحشية التي ارتكبت بحق الناس العزل والغير مسلحين من نساء وشيوخ وأطفال ورجال وقعوا في الأسر مستسلمين للنورمانديين معتقدين بأنهم يسكونون بأمان لأنهم عزل وغير محاربين إلا أن غدر النورمانديين بهم والمفاجئ جعلهم ضحية لتلك الواقعة المؤلمة على المسلمين، في وقت ضعف ملوك الطوائف وتشتتهم أمام الممالك النصرانية، إلا أن وصول أخبار سقوط مدينة بربشتر بيد النورمادنيين وما قاموا به من أعمال وحشية وانتهاك لحركة المسلمين بالاعتداء على نسائهم وسبي الكثير منهن ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا منهن كهدية إلى ملك القسطنطينية، فضلاً عن ما قاموا به من أعمال قتل ونهب وسرقة أموال المسلمين والاستحواذ على دورهم، مما أدى إلى استنهاض الهمم في الأندلس وقام العلماء والفقهاء بحث المسلمين للوحدة وحب الوطن والذود عن شرف المسلمين والرد على انتهاك النورمانديين في مدينة بربشتر.

فبعد تسعة شهور من ذلك الانتهاك تجمع المسلمون لخوض معركة مع النورمانديين وذلك لاسترجاع مدينة بربشتر مما لحقها من تلك الأعمال الهمجية والغير أخلاقية، ففي عام (457هـ/1065م) انتصر المسلمون بتخليص المدينة من سطوة النورمانديين وتخليص ما تبقى من الأسرى داخل المدينة.

فعلى الرغم من استرجاع المدينة والرد على العدوان النورماندين الذين قتل عدد منهم وفر الباقين من المدينة لكن ذلك لم يمحوا ما قاموا به النورمانديين من ذاكرة الأندلسيين والتي يستذكرها الأجيال القادمة للاتعاظ وكسب الدروس والعبر من الأحداث التاريخية الماضية فضلاً عن تحليل الحادثة التاريخية وهو لماذا اختار النورمان هذا الوقت للهجوم على المدينة الآمنة والجواب عليه بسبب ضعف حكام المسلمين في عصر الطوائف وعدم الاهتمام بالرعية والانشغال بالصراع الداخلي من أجل أطماع شخصية زائلة فلذلك تجرأ النورمان واعتدى على المدينة، فبذلك نستفاد من تلك الواقعة بضرورة الوحدة الوطنية

وتوحيد القوى الشعبية لكي لا يتجرأ أي جهة خارجية من الاعتداء على سلامة وأمن الأرض وساكنيها وبالمقابل فالتشتت والفرقة يولد الضياع وخسران المال والوطن.

الهوامش:

1. السلمي الأندلسي، عبد الملك بن حبيب (ت: 238هـ/ 852م)، كتاب التاريخ، وضع حواشيه، سالم مصطفى البدري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1999م، ص45-136؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق- سوريا، 2008م، ص125-194.
2. ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي (متوفي بعد سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2009م، ج2، ص35-98؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2009م، ص98-223؛ العامري، محمد بشير حسن راضي، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015، ص67-96.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: عادل بن سعد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2010م، ج4، ص137؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص203-209؛ السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامية، بيروت- لبنان، 2004م، ص174-177.
4. المركشي، عبد الواحد بن علي (ت: 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2008م، ص21-29؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص317-326.
5. المراكشي، المعجب، ص 42-45؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص150-155؛ نصر الله، سعدون، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1998م، ص161-163؛ العتبي، محمد سعيد رضا محمد بشير العامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، بلا طبعة، الدار الجامعية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2002م، ص469-482.
6. ابن الخطيب الغرناطي، أبي عبد الله محمد عبد الله بن سعيد (ت: 776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق: سيد صلاح كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، ج2، ص140-144؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص358.
7. ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص222 و253-255. حومد،أسعد،محنة العرب في الاندلس،الطبعة الثانية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1988م،ص100و101.
8. النورمان: هم من الوثنيين الذين دخلوا النصرانية في منطقة شمال غرب فرنسا في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان قائدهم هو جيوم دي مونري. للمزيد من المعلومات ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص274.
9. الحجي،التاريخ الندلسي،ص360.

10. طقوش، محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، الطبعة الثالثة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2010م، ص473.
11. شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت: 626هـ/1228م)، معجم البلدان، بلا طبعة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1977م، م1، ص370.
12. البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه: جمال طلبة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، ج2، ص296؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 127-130؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة (دول الطوائف)، الطوائف الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1943م، ص257.
13. محمد بن عبد المنعم (ت: 710هـ/1310م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعاطر في خبر الأقطار، تحقيق: لافي بروفنسال، الطبعة الثانية، مطبعة مؤسسة ناصر للثقافة، دار السراج، بيروت، 1988م، ص38.
14. المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه وعلق عليه: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1995م، ج6، ص208؛ طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص474.
15. ابن بسام، أبي الحسن علي الشنتريني (ت: 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2012م، م3، ص118؛حومد،محنة العرب في الاندلس،ص102.
16. صفة جزيرة الأندلس، ص39-40.
17. نصر الله، سعدون، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1998م، ص209-216؛ حوومد،محنة العرب في الاندلس،ص102.
18. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م3، ص113-114.
19. ابن سماك ،ابي القاسم محمد المالقي الغرناطي(ت: 820هـ/ 1417م)،الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية،الطبعة الاولى،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، 2010م،ص137؛ السرجاني،راغب،قصة الاندلس من الفتح الى السقوط،الطبعة الاولى،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،القاهرة-مصر،2011م،ج1،ص386.
20. الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية،ص101.
21. حومد،محنة العرب في الاندلس،ص103؛السويدان،الاندلس التاريخ المصور،245-263.
22. ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص453؛ دوزي، رينهوت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة: وتعليق وتقديم: حسن حبيشي، المسلمون في الأندلس، بلا.ط، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1995، ج3، ص82.
23. صفة جزيرة الأندلس، ص40.
24. المقري، نفح الطيب، ج6، ص209-2100؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص243.
25. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص277.

26. البيان المغرب، ج3، ص254.
27. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م 3، ص120؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص254-255؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص213.
28. المسالك والممالك، ج2، ص296.
29. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م 3، ص122و 123؛ابن السماك،الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية،ص137؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص213؛دوزي،المسلمون في الاندلس،ج3،ص83.
30. السويدان،الاندلس التاريخ المصور،ص265.
31. جرار،صلاح، قراءات في الشعر الاندلسي،الطبعة الثانية،دار المسيرة ،عمان،2009م،153.
32. المركشي،المعجب،ص54-68،الحجي،التاريخ الاندلسي،ص355-360.